مجلة علوم التربية

دورية مغربية فصلية متخصصة

ثورة الشباب وتحولاتها الثقافية
مصطفى حجازي

ثورات الربيع العربي وأسئلة الفكر السوسيولوجي
مصطفى محسن

من تحقيق الذات إلى تنمية الابتكار
عبدالواحد أولاد الفقيهي

سيكولوجية المرأة
خلود السباعي

ثلاثة مداخل لإصلاح المنظومة التربوية المغربية
عبد الوهاب صديقي

الإدارة المدرسية من منظور الإصلاح التربوي
مصطفى بتي

العدد الخمسون - دسمبر 2011

العلاقة بين الأسرة والمدرسة وأثرها على التحصيل الدراسي

✍ محمد مومن[1]*

* استاذ باحث في علم الاجتماع وعلوم التربية، المعهد الملكي لتكوين أطر الشباب والرياضة، الرباط.

1. لماذا الأسرة والمدرسة؟

لقد تم اختيار الأسرة والمدرسة لاعتبارات عديدة نشير إلى أهمها:

• كون الأسرة تشكل الإطار المرجعي للطفل حيث يتمثل من خلالها معايير المجتمع وتقاليده وبالتالي تلعب دورا هاما في تحديد شخصيته ونمائها على أساس أن دينامية العلاقة بين الوالدين والطفل المتمثلة في العلاقات النفسية التي تتم بين الطرفين وأسلوب معاملتها له، يتوقف عليها إما شعور الطفل بأمنه واستقراره وإتاحة فرص النمو له أو العكس، ومن ثمة فالوالدان يمثلان العامل المباشر لخبرة الطفل إذ هما اللذان يعطيانه الحب والنظام عن طريق الثواب والعقاب ويشجعان فيه بعض السمات ولا يشجعان البعض الآخر.

• كون المدرسة المؤسسة الثانية بعد الأسرة التي تمارس تأثيرها على الطفل لاسيما أنه يقضي أغلب مراحل نموه فيها ومعظم وقته في الدراسة، هذا بالإضافة إلى ما أحلها المجتمع من مكانة خاصة في تربية أبنائه وتلبية حاجاتهم الأساسية. وهكذا غدت المدرسة مؤسسة ضخمة تعنى بتربية الأطفال في جوانب من شخصياتهم المختلفة ليواكبوا تطور المجتمع ومستجداته، وتبعا لهذا فهي تهدف إلى تنمية مهاراته بمختلف أصنافها وتكوين الاتجاهات الاجتماعية الضرورية لتسهيل اندماجه الاجتماعي معتمدة في مقصدها هذا على المدرس باعتباره الحلقة التي تتوسط علاقة المتغيرات الاجتماعية بالمتغيرات المدرسية.

• كون الميثاق الوطني للتربية والتكوين شدد على أن المسألة التعليمية قضية تهم المجتمع في شموليته. لذلك راهن على مساهمات كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية ومختلف فعاليات المجتمع المدني، وجميع المصالح العمومية والمؤسسات الخاصة، في إصلاح المنظومة التعليمية.

وتفعيلا لهذا الرهان رفعت خلال عشرية الإصلاح المنقضية نهاية سنة (2010) شعارات الشراكة والتعاون بين المدرسة والأسرة. في أفق ضمان التنسيق والتكامل بين المؤسستين من أجل توفير كل الشروط والعوامل المساعدة لإنجاح العملية التربوية.

من خلال هذه المعطيات يتبين لنا أن الأسرة هي الإطار المرجعي الأول والمدرسة هي الإطار المستقبل له. لكنه على الرغم من ذلك فإنه غالبا ما يلاحظ تباين أو تعارض بين المؤسستين على مستوى أساليب المعاملة مما يجعل الطفل عرضة للقلق والاضطراب على أساس أن انعدام التكامل وغياب وحدة الفعل التربوي يسهمان إلى حد بعيد في إعاقة التوافق الدراسي للطفل.

لذا أصبحت الصورة الحديثة التي اتخذتها المدرسة في العصر الحاضر تستدعي توثيق الصلة بينها وبين أفراد الأسرة حتى تشعرهم أنها ملك لهم ويتحمسون لها ويعملون على النهوض بها لتأدية رسالتها على الوجه الأكمل، وهي من جانبها تفتح أبوابها في كل وقت بعد انتهاء اليوم الدراسي لترحب بأولياء أمور تلاميذها ليتخذوا منها مركزا لنشاط متنوع مشغلين في ذلك إمكانياتها المتعددة، وبذلك تصبح المدرسة مركز إشعاع لخدمة الأسرة متجاوزين بذلك الطرح التقليدي لعلاقة الأسرة بالمدرسة «الأسرة للتربية والمدرسة للتعليم»[1].

هذه المقاربة التحليلية تحاول تجاوز أو على الأقل طرح إشكالية قديمة بصورة جديدة: إشكالية العلاقة بين الأسرة والمدرسة. كانت هذه الإشكالية تطرح كمواجهة إيديولوجية لمعرفة لمن تعود الأولوية والمسؤولية في تحديد التوافق الدراسي. فالبعض يرى انها تعود إلى الأسرة باسم حقوق الآباء والأعراف والتقاليد، والبعض الأخر يرجعها إلى المدرسة باسم حقوق الدولة أو الهيئة الاجتماعية أو باسم حقوق الطفل[2]. كما أن جل الدراسات العلمية سارت في هذا الاتجاه، تميل إما إلى تحميل المسؤولية للأسرة كتقرير « كولمان « الذي يرى أن المدارس في الولايات المتحدة الأمريكية ليست مسؤولة عن الفروق بين التلاميذ، أو تحميلها للمدرسة (بورديو، باسرون، إستابلي...) أو الطفل (الاتجاه البيولوجي).

وبناء على هذا التداخل العلائقي بين الأسرة والمدرسة، يمكن القول أن الأسرة والمدرسة محكوم عليهما بالتعاون والتفاعل إزاء التوافق الدراسي للمتكونين.

2. ضرورة العلاقة بين الأسرة والمدرسة

كل مهتم بالتربية والتعليم أصبح يؤمن بمنظور التفاعل بين الأسرة والمدرسة على أساس أن مشاكل التلميذ المدرسية لا تعود إلى طبيعة الطفل وحدها أو إلى طبيعة الأسرة وحدها بل إلى نوعية العلاقات المنسوجة بين مختلف هذه العناصر وطبيعة التفاعلات بينهما.

ومما لاشك فيه أن بيت الطفل هو مدرسته الأولى التي يتلقى فيها مبادئ النطق وتمارين المشي واللعب كما يتلقى مختلف التمارين على التغذية من رضاعة، فطام،....الخ، وحيث تؤسس عنده العادات والمهارات التي اكتسبها بواسطة أفراد أسرته وذلك بمراقبة أعمالهم وحركاتهم وتقليدها أو بواسطة تعليمهم المقصود له وأوامرهم الموجهة إليه.

وعندما يصبح الأطفال في سن الدراسة تتوزع حياتهم الجديدة بين بيتين: البيت العائلي والمدرسة، ذلك البيت الجديد الذي سيتعهد الطفل ليتمم عمل بيته وعائلته وتربيته المثلى ويزوده بدروس تنير أمامه سبيل حياة أفضل.

فالبيت والمدرسة عاملان مهمان في تربية الناشئة يتمم الثاني ما بدأه الأول على أسس أكثر فاعلية وأرقى أسلوبا. ولعل المدرسة قبل أن تضيف شيئا من العادات والأخلاق والتعاليم إلى ما عرفه الناشئ في بيته، تجد نفسها أمام أخطاء غير مقصودة تزود بها الولد في ذلك البيت ويصبح من واجبها قبل البدء بتربية الولد وتعليمه، تصحيح ما اعوج من خلقه أو ساء من عاداته.

ومن هنا «لكي تصبح المدرسة على تفاهم تام مع البيت وجب تعاونهما على هدى من رقي المعلم وحسن إدارة المدرسة وجميع العاملين فيها لينسجم عمل البيت والمدرسة فيثمر تعاونهما ويؤتي خير الثمار» [3].

فطبيعة كل من الأسرة والمدرسة كمؤسستين تربويتين تفرض عليهما بالضرورة التعامل، وخصوصا أنهما تشتركان كما أشرنا في عملية إعداد النشء، غير أن متطلباتهما وأدوارهما تختلف إزاء الطفل ، مما يستلزم التنسيق بينهما، لأن هذا الوضع «يفرض انصهار كل منهما في بوثقة من التكامل التام، إذ لو كانتا تؤديان نفس الدور، وبالتالي لو كانت وظيفة كل منهما تكرارا لوظيفة أخرى لخف مطلب التكامل بينهما، أما والأمر غير ذلك، فهو مطلب أساسي. [4].

وهكذا نرى أن دور الأهل في البيت من حيث تربية الطفل، لا ينتهي بذهاب ولدهم إلى المدرسة بل يزداد أهمية، لأن المدرسة تتعهده في النهار وتزوده بتربيتها وتعليمها ومن واجب الأهل عند عودة الطفل أن يتمموا ما علمتهم المدرسة ويحافظوا على ما تحلى به التلميذ من خلق جديد طيب لا أن يناقضوا عمل المدرسة، خصوصا وأن المدة التي يقضيها الطفل في المدرسة ليست أكثر من ست ساعات يوميا بينما المدة التي يقضيها في البيت تساوي ثلاثة أضعاف ذلك.

تأسيسا على ما سبق يمكن القول أن العلاقة بين الأسرة والمدرسة تبقى ضرورة لاعتبارات عديدة نذكر منها [5]:

- كون العمل الدراسي لا ينحصر داخل المدرسة، فالمدرسون غالبا ما يكلفون التلاميذ من القيام بحفظ الدروس أو بإنجاز التمارين في المنزل وهو ما يعرف بالواجبات المنزلية إضافة إلى الإعداد القبلي الذي

أصبح التلميذ مطالبا به، مما يلزم الوالدين بتوفير الجو الملائم للطفل داخل الأسرة حتى ينجز أعماله المدرسية، خصوصا وأن العمل الدراسي الذي ينجز في المنزل يؤخذ بعين الاعتبار من طرف المدرس، وبالتالي يلعب دورا مهما في النجاح الدراسي، إذ غالبا ما يؤول المدرس عدم إنجاز التلميذ لواجباته المنزلية إلى التهاون واللامبالاة.

● حينما لا تكيف الأسرة سيرها حسب ما تقتضيه المدرسة بسبب عجزها أو رفضها، نلاحظ أن الطفل ينمو داخل عالمين مختلفين، إذ أن بعض الأسر لا تغير نظام عاداتها وفق نظام المدرسة، كأن لا تأخذ بعين الاعتبار العطل الدراسية والعمل الدراسي. قد يكون مثلا غدا يوم عطلة وتجبر طفلها على النوم مبكرا أو قد يكون يوم دراسة وتجعله يسهر مع الأسرة غير مبالية بعمله المدرسي. كما أن المدرسة تتطلب من الطفل التردد عليها بطريقة منتظمة غير أن بعض الأسر لا تحترم هذه القاعدة مما يخلق اضطرابا في الحياة الدراسية للطفل/ التلميذ.

● إن التقسيم الكلاسيكي بين الأسرة والمدرسة يجعل الطفل حسب البعض يعيش شخصية مزدوجة: حيث يتكيف حسب بنيتين منفصلتين، هذا الموقف المزدوج غالبا ما يعتبر –إن هو استمر– منبعا لمشاكل توافقيته وبالتالي دلالة على خلل في المسار التربوي للطفل.

فالطفل/ التلميذ في الواقع ينمو داخل محيط مزدوج من جهة وداخل محيط منفصل في جهة أخرى، فهو طفل في أسرته وتلميذ في مدرسته بمعنى انه على الأسرة ألا تنسى أن طفلها تلميذ، وأن تدرك أن تلميذها طفل، إذ أن مشاكل الطفل الأسرية لها وقع على حياته داخل الأسرة وهذا يعني أن الأسرة والمدرسة بالنسبة للطفل لا توجدان كواقعين مستقلين، فإذا كانت المدرسة مؤسسة اجتماعية مختلفة عن الأسرة فإنه ليس لها وجود وظيفي مستقل.

ومن ثمة يمكن القول إن الأسرة والمدرسة محكوم عليهما بالتعاون والتفاعل إزاء التوافق الدراسي للطفل/ التلميذ.

3. التعاون بين الأسرة والمدرسة:

لتحقيق التعاون بين الأسرة والمدرسة لابد من أن يطلع الآباء على حقيقة عملها وأن يؤمنوا به حتى إذا ما تسنى لهم ذلك أمكنهم إتمام دور المدرسة، في البيت بحسن مراقبة سلوك أولادهم من حيث مراجعة دروسهم وكتابة فروضهم وبقية معاملاتهم وحسن المعاشرة...

وليتحقق هذا العمل على أكمل وجه يجب تنظيم عملية الاتصال بين الأسرة والمدرسة واتصال المدرسة بالأسرة عند الحاجة وذلك عن طريق:

أ- مجالس الآباء:

التعارف بين المنزل «الأسرة» والمدرسة من اوجب الواجبات لاستكمال العملية التربوية والتعليمية، فلابد ان تفتح المدرسة صدرها لكل أب يريد الإدلاء برأي يفيد

الجميع وأن يشترك كل من يريد الاشتراك في اجتماعات المجلس الشهرية- مادام راغبا في هذا – فقد يمنح فكرة أو رأيا غاب عن أفكار أعضاء المجلس فيكون اشتراكه في الرأي والمشورة قد أفاد. ولكي تنجح مجالس الآباء في مهمتها لابد أن يراعي مدير المدرسة أو مديرتها أوضاعا وأمورا كثيرة أهمها العمل على نشر الوعي بالدور الذي يلعبه التعاون بين الآباء والمعلمين لصالح التلميذ، حتى تقتنع كل فئة منهما بذلك فيمارس أفرادها هذا التعاون المبني على نكران الذات لمنفعة الجميع على وعي وإيمان.

فلا بد إذن من تنظيم اجتماعات مجالس الآباء ليستمر الاتصال بين الأسرة والمدرسة بصفة منتظمة ومعروفة للجميع على أن تكون الاجتماعات للتعاون على الصالح العام لا للمنازعات والخلافات الشخصية الناتجة عن اختلاف الآراء.

هذا ويستحسن أن تمنح إدارة مجالس الآباء للمختصين في المسائل التربوية لضمان النجاح في حل المشاكل بطرق لا تعرض احد الآباء للشعور بالحرج خلال حل مشكلة ابنه، على أن يستدعي المجلس آباء وأمهات الأبناء ذوي المشاكل لحضور المناقشات الخاصة بأبنائهم حتى ولو لم يكونوا أعضاء في المجلس. أما في الحالات التي يحرج الآباء فيها من عرضها على المجلس كالسرقة مثلا فلابد من مراعاة السرية التامة أثناء حلها مع ولي الأمر من طرف المدير أو المدرس حرصا على كرامة التلميذ وولي أمره وتسهيلا للعلاج، لأن خبر إصابة الطفل بهذا المرض قد يعقده ويؤديه بما لا يخطر لأحد على بال.[6]

وكان «موكو» « Mauco » أول من أنشأ مدرسة الآباء والأمهات في فرنسا قصد مد الجسور بين الأسرة والمدرسة، بمعية نخبة من رجال التربية وعلماء النفس، وكان من ضمن مهامها تبصير الآباء والأمهات بالطرائق التربوية السليمة التي تساعدهم على التغلب على الصعوبات المدرسية لأبنائهم وخاصة في الأوساط المهمشة[7].

ولعل جل بلدان العالم ومنها المغرب شعرت بضرورة ربط الصلة باستمرار بين الأسرة والمدرسة ،فأنشئت مجالس الآباء أو ما يسمى في نظامها التعليمي بجمعيات آباء وأولياء التلاميذ وأصبح معترفا بها رسميا ،غير أنها غالبا ما تسقط في الشكليات والمناسبات وإقامة الحفلات المدرسية الموسمية،وتهتم بالمشاكل العامة المادية أكثر من اهتمامها بالمشاكل التربوية المرتبطة بالتوافق الدراسي للأطفال، مما يجعل دورها ينحصر في مطالبات أشبه ما تكون بالمطالب النقابية أو أنها لا تتدخل إلا عند حدوث أزمة كتعرض بعض التلاميذ للتهديد بالطرد لأسباب تربوية أو أخلاقية، وهناك من المهتمين من يعتبر أن هناك مجموعة أخرى من المعيقات التي تجعل هذه الجمعيات- جمعيات الآباء -تحيد عن أدوارها الحقيقية أهمها التمثلات التقليدية السائدة التي لا ترى في هذه الجمعيات سوى ذلك »الجابي «الذي يستخلص واجبات الانخراط ليوظفها في إصلاح المؤسسة وترميمها، دون أن يكون شريكا فاعلا أو مساهما في تدبير الشأن

التربوي للمؤسسة التعليمية، هذا إضافة إلى أن مسؤولي بعض المؤسسات التعليمية يتخذون من هذه الجمعيات مواقف سلبية ويضعون أمامها العراقيل ،مستمرين في الاعتقاد أن الجمعية غير معنية بالشأن التربوي كما أن العلاقة بين أولياء الأمر والمؤسسات التعليمية تكاد تكون منعدمة، إذ أن عزوف الآباء عن الاهتمام بالشأن التربوي والتعليمي، وضعف مساهمتهم في أشغال جمعيات الآباء وفي تقديم الاقتراحات وغيابهم عن حضور وتتبع الجموع العامة ،علاوة على ضعف تواصلهم مع الطاقم الإداري والتربوي لأسباب ذاتية كانتشار الأمية، أو موضوعية ذات صلة بنوعية الاهتمامات والأولويات لدى أباء وأولياء المتعلمين ،يجعلها غير مؤهلة لتحمل المسؤولية.

يظهر إذن أن العلاقة بين الأسرة والمدرسة ضرورة تفرضها معطيات التحليل العلمي، غير أن هذه العلاقة تكتنفها مجموعة من الصعوبات كما ذكرنا وبالتالي تخضع لعدد من العوامل تجعل هذه العلاقة منعدمة أو فاترة، ولا شك أن انعدام هذا التكامل من شأنه أن يؤثر على الحياة الدراسية للمتكونين.

في ضل هذا الوضع إذن أطلقت وزارة التربية الوطنية المغربية بداية الموسم الجاري (2009-2010) مشروع» مدرسة الناجح« وهو مشروع ميثاق العلاقة بين جمعيات أباء وأمهات وأولياء التلاميذ والمدرسة. ينص هذا المشروع على اعتبار جمعيات الآباء شريكا استراتيجيا للمدرسة ولمختلف مستويات تدبير المنظومة التربوية من خلال هياكلها الإقليمية والجهوية والوطنية.هذا عن الحقوق ،أما الواجبات التي فرضها المشروع على الجمعيات فتكمن أساسا في تعزيز وتحسين التواصل بين الأسرة والمدرسة .والمساهمة في تتبع أداء التلاميذ، وتقديم الدعم التربوي الضروري للمتعثرين منهم ،ومحاربة الغيابات الفردية والجماعية للمتعلمين ،وضمان استمرارهم في الدراسة، العمل من أجل الحد من الهذر المدرسي، وتقويم الدعم المادي والمعنوي للتلاميذ في وضعية هشة.

ب- الزيارات:

أعني بذلك زيارة الآباء للمدرسة لبحث المشاكل التي يقع فيها أبناؤهم بعد أن عجزوا عن إيجاد حل لها أو للاتصال بالمسؤول عن المدرسة لينقلوا بعض المعلومات الخاصة عن أولادهم، أو للاستفسار عن سبب تقصير هؤلاء الأولاد في بعض الدروس ومعرفة طريقة التغلب على هذا التقصير سواء في البيت أو المدرسة.

ج- الفروض المنزلية:

تعتبر الفروض المنزلية التي تعطى للتلميذ لينجزها في بيته مسألة هامة جدا في كثير من الأحيان، بدلا من أن تكون خبرة تعليمية إضافية مساعدة، تصبح عبئا مرهقا وتفسد عمل التلميذ وكثيرا ما تتوقع المدرسة من الأهل أن يساعدوا الطفل في إنجازها، ولكن عدم فهم التلميذ الغاية منها يجعل من العسير على الأهل بدورهم أن يفهموا المقصود منها.

ولعل السبب في ذلك هو أن هذه الوظائف تفرض على التلميذ دون فهم منه لقيمتها ودون مشاركته في تعيينها، إذ تعتبر مشاركة التلميذ في تعيين العمل المنزلي أمرا ضروريا وهاما لفهم أهمية هذا العمل وإقباله عليه واهتمامه به وعدم اعتباره أمرا تعسفيا يفرض عليه ليحرمه الراحة[8]

4. **غياب التواصل بين الأسرة والمدرسة.**

أ – العوامل الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية للأسرة:

إن العوامل السوسيولوجية للأسرة وما تسببه من تكامل أو انعدامه بينها وبين المدرسة قد حظيت باهتمام كبير من لدن الباحثين، ويمكن عرض دور هذه العوامل من خلال زاوية دقيقة وعملية في نفس الوقت وهي اتصال الأسرة بالمدرسة.

❖ **تردد الآباء على المدرسة:**

إن وحدة الفعل التربوي تقتضي من الوالدين عند الضرورة الاتصال بالمدرسين لمعرفة مشاكل أطفالهم الدراسية قصد التغلب عليها، غير أن، دراسة «TEDESCO ELISABETH» بينت أن الآباء الذين هم في حاجة ماسة للاتصال بالمدرسين لمعرفة صعوبات أبنائهم الدراسية هم الذين يكون اتصالهم قليلا أو منعدما مع المدرسين، وهم غالبا ما ينتمون إلى أوساط اجتماعية وثقافية دنيا، وتعزو الباحثة أسباب عدم الاتصال[9] إلى :

- أسباب مادية وعلمية وتتجلى من خلال:

بعد المنزل عن المدرسة - العمل طيلة اليوم بعيدا عن المنزل- التعب- الظروف الصحية كالأمراض- كثرة الأولاد والاهتمام بهم، مما يحول بين الأسرة وزيارة المدرسة حتى ولو كانت الدعوة موجهة إليها من طرف المدرسة...

- أسباب نفسية اجتماعية:

- **الشعور بالنقص إزاء المدرسة** والمدرسين: ويتجلى في كون المدرسين يستعملون كلمات ومصطلحات لا يعرفها الآباء مما يجعلهم يشعرون بجهلهم، علاوة على أنهم لا يحظون بالوقت والاهتمام الكافيين، إذ توضح الدراسة أنهم غالبا ما يتصلون بالمدرس في وقت غير ملائم، كما أن آباء الفئة الدنيا يرون أن المدرسين يحملونهم فضل أطفالهم، مما يجعلهم يشعرون بهذا النقص. أما آباء الفئة الوسطى فيتعاملون مع المدرس الند للند ويتقبلون ملاحظاته دون حرج، في حين يعتبر آباء الفئة العليا أن المدرس مجرد موظف يقوم بمهمته فقط، وأن عليه أن يخدم الأسرة من خلال التلميذ.

- **تردد الآباء على المدرسة:** يعني لدى البعض التملق والتقرب من المدرس لإنجاح طفلهم وهذا ما لا تسمح به كرامتهم، في حين أن نفس الآباء – كما توضح الدراسة- يذهبون إلى المدرسة ويحتجون بشدة على أشياء بسيطة كفقدان طفلهم بعض أدواته المدرسية، قد يبدو أنهم يعطون أهمية بالغة

لأشياء مادية في حين لا يهتمون بالمشاكل التربوية والدراسية لأطفالهم، وهذا أمر له ما يبرره إذا ما عرفنا التضحيات التي يبذلونها لتوفير الملابس والأدوات المدرسية لأطفالهم إذ تكون على حساب حاجيات أخرى.

- **الاتكالية على المدرسة:** بعض الآباء يعتمدون كلية على المدرسة نظرا لعجزهم وعدم وعيهم، ويبررون موقفهم هذا بأن المدرسة تعرف جيدا عملها ولا داعي لإزعاجها أو التشويش عليها خصوصا وان الأمر يهم الطفل والمدرس وحدهما.

وفي نفس الإطار يقول د.«مبارك ربيع»: «الأسرة المغربية تتكل اتكالا كاملا على دور المدرسة في تكوين الطفل وتكتفي بتردد الطفل على المدرسة وتتخذه مظهرا وحيدا يدل على تقدم الطفل، دون أن تيسر له الظروف المادية والمعنوية المساعدة على ذلك في المنزل بسبب عجز في غالب الأحيان أو جهل في بعضها»[10]، بل أن علاقة الآباء بالمدرسة لا تكون إلا في آخر السنة حينما يصدمون بنتيجة الامتحان، وغالبا ما يبررون فشل طفلهم بسوء الحظ أو بارتشاء لجنة الامتحانات...إلخ. ولعل هذه القطيعة الموجودة بين الأسرة والمدرسة يستغلها الطفل في تبرير موقفه إزاء المدرسة والأسرة «فهو يجد عذره أمام نفسه قبل كل شيء للتذرع في الاتجاه المعاكس أمام الأسرة، بما تكونه فيه هذه الأخيرة بالذات من شعور بأن مستقبله الدراسي سيحدد في جزء منه على الأقل أو في الامتحانات بالضبط بطريق الصدفة والارتشاء».[11]

يمكن القول، إذن، أنه بحكم الفقر الثقافي والمعرفي الذي يعاني منه الآباء فهم يشعرون بعجز في مسايرة الأنشطة التي تكسبها المدرسة لأبنائهم، الشيء الذي يجعلهم في الهامش، وشعورهم -كمركب نقص- بعدم امتلاك القدرة على تقديم المساعدة البيداغوجية المطلوبة بالنسبة لأبنائهم كدعم خارجي تشترطه مدرسة اليوم، بالإضافة إلى نوعية اللغة المستعملة من طرف منظومة التربية والتكوين والتي تشكل هي الأخرى عائقا ابستمولوجيا في تحقيق التفاهم سواء بالنسبة لهم أو بالنسبة لأبنائهم، وهو ما يؤثر سلبا على حسن اندماجهم مع الوسط المدرسي. وبالتالي دخولهم في عتبة الفشل الدراسي.

والأمر يزداد استفحالا حينما ننتقل إلى المدرسة بالبادية، إذ نجد مجموعة من العوامل تكرس هذه الاتكالية كالفقر والأمية، قلة الوعي...مضافة إليها محددات أخرى تساهم في سطحية علاقة المدرس بأهل القرية لأنها تؤثر على حياة المدرس وتجعله منشغلا بها وهي: قرب أو بعد المدرسة عن الطريق (طريق المواصلات)، قربها أو بعدها عن الماء، عن الكهرباء، عن السكن، عن السوق،...إن سوء أو انعدام البنيات التحتية Infra-structure سواء داخل المدرسة أو داخل القرية لا تؤثر فقط على حياة التلميذ وأهله بل كذلك على حياة المدرس الذي تحت وطأة هذه الظروف الصعبة غالبا ما يقيم علاقات سطحية مع أهل القرية، إضافة إلى بعض

التصورات التي يحملها المدرس عن التلميذ في البادية المرتبطة بعجزه عن مسايرة الدراسة كنظيره التلميذ في الوسط الحضري.

في هذا الصدد يقول د. مصطفى حدية : « يعتبر الطفل المتمدرس في القرية كمعاق ثقافيا مما يستتبع عدم قدرته على مسايرة الدراسة بشكل عاد »[12] ويضيف منبها: «فنظرة المدرس هذه تشكل خطورة كبيرة على الطفل ما دامت تستبعد كل سيكولوجيا الطفل القروي بالحكم عليه بعدم القدرة على التجاوز»[13].

يبدو إذن مما سبق أن علاقة الأسرة بالمدرسة في الوسط القروي لها خصوصياتها مما يبيح القول إن هذه العلاقة حبلى بالمتغيرات، الأمر الذي يستلزم تقليص الهوة بين المؤسستين بتحسينهما معا.

وهذا يدلنا على أن العوامل الأسرية والمدرسية كلتيهما يجب أخذهما بعين الاعتبار، بمعنى أن نجاح أو فشل الطفل دراسيا في مدارسنا هي عملية معقدة لا يمكن حصرها في الأسرة كما لا يمكن ردها فقط للمدرسة. ومن ثمة يجمل بنا أن ننظر إليها من زاوية التفاعل القائم بين الأسرة والمدرسة كإطارين الأول مرجعي والثاني مستقبل، وما يفرزانه من تناقض أو تباين أو تكامل في جانب معين من جوانب واقع الطفل/التلميذ.هذه النظرة بلورتها كذلك أبحاث كل من «بورديو» Bourdieu وباسرون» « Passeron »[14] وبرتيلو» [15]« Berthlot »و«لوبرو[16]) « lobrot » و«بودلو Boudelot »[17]«و«اسطبلي» « Estabetl »و«فوركان..[18]» « Forquin » وغيرهم إذ تساهم بشكل واضح في فهم العلاقة الصراعية التي تربط المدرسة بالثقافة وبالعالم الاجتماعي المحيط بها بما في ذلك الوسط الأسري وعلاقته بالعملية التربوية والتعليمية.

عندما يلتحق طفل الفئات الفقيرة بالمدرسة .يتبين له أن المعرفة التي يتلقاها في المدرسة لا علاقة لها بواقعه المعاش. وهذا ما أشار إليه كل من» بيير بورديو« و«باسيرون «في كتابيهما» إعادة الإنتاج« و«الوارثون «عندما أكدا بأن العملية التربوية بالشكل الذي يمارس فيه في المجتمعات التي يسودها تمايز طبقي بين الأفراد هي عملية مفروضة من طرف الفئات المتحكمة في المجتمع وتستهدف إعادة إنتاج ثقافتها لتستمر في تبسيط سيطرتها على غالبية أفراد المجتمع.

كل هذه المعاملات التي يواجهها طفل الفئات المحرومة والفقيرة تجعله يتور وينحرف داخل الأسرة وفي فضاء المدرسة والشارع .ومن هنا تكون المدرسة أحيانا تعمق الصورة بينها وبين أسرة الطفل الفقير.

5. أثر هذه العلاقة على مستوى التحصيل الدراسي للطفل/ التلميذ

لاشك بأن المدرسة تقع عليها مسؤولية إعداد وتربية المتكونين وتزويدهم بمختلف العلوم والمعارف وفقا لقدراتهم واستعداداتهم والإمكانات المتاحة لهم، وهي إذ تقوم بهذا الدور فهي في حاجة ماسة إلى

أن توطد علاقتها مع مختلف أسر مجتمعها المحيط بها عن طريق الاتصال المباشر وغير المباشر واضعة برامج وخطط تربوية متطورة من اجل أن يساهم الآباء والأمهات في تربية أطفالهم والمساعدة المطلقة لهم في مراجعة دروسهم والاهتمام بواجباتهم المدرسية،وتوفير بيئة منزلية صالحة لغرس القيم الاجتماعية النبيلة، بيئة يجد فيها الطفل كل وسائل الراحة الممكنة في مراجعته لدروسه، إلى جانب القيام بكل الأعمال التي طلبها منه معلمه في المدرسة، كما أن هذه البيئة الصالحة لا تنطلق من الفراغ، ولم تأت بمحض الصدفة ولكنها وليدة مخاض فكري للأسرة وخصوصا الأبوين إذا كانا متعلمين، حيث يضعان معا الخطط التربوية والأسس السليمة التي تمكن أطفالهما من مراجعة ومتابعة دروسهم، ويضعان برنامجا دقيقا وسليما لزيارة المدرسة والتعاون مع معلميها وإدارتها قصد التعرف عن قرب على سيرة أبنائهم الدراسية، حيث أوجه القصور إن وجدت وكيفية علاجها وصولا إلى تحقيق النجاح لهم. والمدرسة هي الأخرى تفتح أبوابها لاستقبال أولياء أمور التلاميذ – كما وضحنا ذلك في الفقرات السابقة– وتزودهم بكافة المعلومات عن الواقع التعليمي لأبنائهم وتشجعهم على الاستمرار في الدراسة، وتحيي فيهم روح التعاون. وهكذا نجد أن مثل هذا التعاون قائم على حرص تام وعلاقة متينة من أجل مستقبل التلميذ ونجاحه في دراسته سيحقق نتائج إيجابية يسعد بها التلميذ ويكون مآلها النجاح بالتفوق في دراسته.

الهـوامش

1 - الطفل بين الأسرة والمدرسة ،سلسلة التكوين التربوي العدد 8، 1998، ص:8

2- villars.G et al, Education Scolaire et ses problèmes, istra, 1982, p :32

3 - عبد الحميد فايد ،رائد التربية العامة وأصول التدريس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984، ص: 113

4 - الطفل بين الأسرة والمدرسة، سلسلة التكوين التربوي، مرجع سابق، ص: 15

5 - ربيع مبارك، عواطف الطفل، الدار العربية للكتاب، 1984،ص: 338

6 - زكية حجازي، معوقات النمو المتكامل للطفل في المرحلة الابتدائية، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1977، ص:228-227

7 - موكو جورج، التربية الوحدانية والمزاحية للطفل، دار المعرفة،1978، ص: 297

8 - فاخر عاقل، علم النفس التربوي، ط6،1991،ص:529

9- Tedesco (E), Des familles parlent de l' école, Casterman,1979 p.p : 111-182

10 - ربيع مبارك، عواطف الطفل، مرجع سابق ص:342

11 - الطفل بين الأسرة والمدرسة، سلسلة التكوين التربوي ، مرجع سابق، ص:20

12 - الطفل بين الأسرة والمدرسة، سلسلة التكوين التربوي،مرجع سابق، ص:72

13 - حدية مصطفى، الطفولة والشباب في المجتمع المغربي قضايا تربوية وتنشئوية، بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 1991، ص: 72

14- P.Bourdieu et J.C.Passeron, les héritiers, Minuit, Paris, 1964

- P.Bourdieu et J.C.Passeron,la reproduction, Minuit ,Paris,1970

15- J.M.Berthlot, le piège scolaire, P.U.F,Paris,1983, p p 12-13

16- M.Lobrot, A quoi sert l'école, Armand colin, Paris, 1992, p : 12

17-C.Boudelot et R.Establet, Allez les filles, P.U.F, Paris, 1992

18- J.D.Forquin, Ecole et culture, De bosck, Bruxelles, 1989